



المكان، بقعة ما من شاطئ البحر أما عن الزمان فلا يمكنني أن أنسى منظر الشمس الذهبية الذائبة في المياه عند الغروب . كنت أجلس وحدي على صخرة كبيرة لا أرى أمامي سوى الرمال و المياه والسماء ، لا أكثر و لا أقل . لا أسمع سوى صفير الريح و صوت تحطم الأمواج المتلاحقة على الشاطئ التي يبدو و كأنها لا تسأم هذا النمط المتكرر منذ بدء الخليقة و حتى يومنا هذا ، و لا أعتقد إنها ستوقف عنه يوما ما . هدوء و سكون لا أعتقد إنني سأعرض لهما مرة أخرى أبدا ، على الأقل طوال حياتي ، ربما بعد انتقالي إلي السماء أيضا ! لست أدري !

و لكنني لم أكن أشعر بهذا الهدوء ، فبي بقعة ما في داخلي و في أعماق أعماقي عقلي كان ينطلق صخب هائل يملأ كل كياني و يتغلغل في أنفاسي ، صخب يمثله سؤال واحد . نعم سؤال واحد ! حتى إنني كنت أتصور إن الدنيا كلها تسمع تساؤلي بل و تردده ورائي : أين أنت ؟ أين أنت يا الله ؟ أين أنت ؟ فكنت أشخص ببصري إلي السماء قائلا : أنت حقا في السماء ؟ و لكن ماذا عن الأرض ؟ نعم أنت موجود في كل مكان ، فالسماء و الأرض مملوءتان بمجدك و بهائك و سلطانك ، فالسماء تسبح بعمل يديك و الفلك يخبر بمجدك . و لكنني أريد أن أراك ، فلماذا لا تجعلني أراك لقد قلت لموسى في المقدم : لأن الإنسان لا يراني و يعيش . أما في عهد النعمة فأنت قد تنازلت و تجسدت و كل الناس رأتك .

إنني أسمع عن أناسا قديسين رأوك و سمعوك ، فلماذا لا أكون مثلهم . أليست لي نفس هي الأخرى عزيزة لديك . نعم أنا أعرف إنها نفس خاطئة و لكنك قلت أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلي التوبة . و أخذت أصرخ : يارب أريد أن أسمعك ، أن أكلمك ، أريد أن أراك ، أريد أن .....

و فجأة ، فوجئت بهذا الصوت يخترق عقلي و يتسرب داخلي و يتغلغل في أنفاسي . أهو ضميري □ الذي استيقظ من سبات عميق طال رقاديه فيه ؟ أم هو ملاكي الحارس يصرخ بي ؟ أم هي نضخة الروح القدس التي بداخلي ؟ لا أعرف .

و لكنه صوت قوي حنون يسألني : " أتريد أن تراني " □ .

- □ نعم إذا كنت أنت الرب .

- انطلق .

- ماذا ؟

- انطلق ، تخلص من إنشغالاتك و تحرر من قيودك . كيف تراني و أنت بعيد عني ؟ كيف تراني و هنك مشغول عني . هيا انطلق ، أنسى العالم و اترك شهواته .... دوس عليها بقدميك و ارفع عيونك إلي و أنت تراني .

و فيما هو يقول هذا و جدت نفسي فجأة أتخلص مما حولي . فلم يعد هناك شاطئ و لا رمل و لا مياه ، لم يعد هناك قيود تقيدني بهذا العالم ، و جدت نفسي أتحرر من الأغلال التي تقيدني إلي الأرض . نعم أصبحت في مكان لا يبعث في نفسي سوى الراحة و الفرح ، يجلس أمامي شخص هو قمة الجمال و البهاء ، لم أكد أبصر المثقوب في يديه و رجله و الجروح الغائرة في رأسه و الطعنة المناذة في جنبه ، حتى تعرفته . إنه هو المسيح □ ، إنه هو رب المجد □ ، إنه من اشتاقت إليه نفسي ، إنه هو من تغنى داود الملك ببهائه و حسنه و رحمته و رأفته في العهد القديم . إنه الرب المشافي الحنون المصلوب على الصليب و القائم من الأموات في العهد الجديد .

و جدت نفسي أرتمي في حضنه و المتصقت به حتى صرنا شبه جسد واحد . مضى وقت ، ليس بقليل ، و نحن على هذا الحال و لو سألتني عن شعوري □ وقتها لقلت لك : لولا إنه لمسني من كتفي و جعلني أقف أمامه برفق ، لكنت حتى الآن بين ذراعيه . و لو كانت الحياة الأدبية يمثل هذه الروعة ، فأنا مستعد لأن أضحي بأي شيء في العالم لأنالها .

خرج من بين شفثيه صوت هو أعذب ما سمعت ، و أطلت من عينيه نظرة هي أجمل ما رأيت و قال : ها قد رأيتني و ها نحن قد التقينا ،

هل تشعر الآن بروعة المتخلص من قيود العالم .

- □ و أي روعة .

- هل تشعر ببهجة اللقاء .

- و هل تماثلها بهجة .

- هل تشعر بقوة روحك و قدرتها على سحق إبليس وجنوده .

- لو شعرت بها من قبل لما سقطت .

- و هل تشعر بتجدد □ نفسك بعد هذه الرؤية .

- حقا يارب تجدد كالنسر شبابي .

و لكني لاحظت إن صوته صار يبتعد ويبدأ ويبدأ ، حتى أنا صرت أصرخ لكي يسمعني ، و وجدت نفسي أبكي كالطفل و أقول : لا يارب ، أريد أن أبقى بجانبك ، تحملني بذراعيك كأب يحمل ابنه ، تحفظني بحضنك فلا أعطش و لا أجوع ثانية . أريد أن أراك دوما يارب ، فلا تفارق صورتك عياني و لا يفارق صوتك أذني و لا يفارق أسمك شفاتي .

فقال لي : لا تخف ، ستجدني دوما ، فصوتي ستسمعه دوما في إنجيلك . أما اسمي فتستطيع أن ترده في صلواتك ، أما عن صورتني فأنا موجود بشخصي كل يوم على المذبح . فمتى تأكل جسدي الذي صلب عنك و متى تشرب دمي الذي سفك ليخلصك ، سأسكن فيك و أنت في و ستمتع بي في الحياة الأبدية .